# الأصل هو الإباحة والتحريم استثناء ولكن؟!...

على مستوى الأفكار

«من السهل أن تعمل

ومن الصعب أن تفكر»

# الأصل هو الإباحة والتحريم استثناء ولكن ؟!...

ابراهيم بشير الغويل

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت

حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى

١٩٨٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

## وبه نستعين

# مدخل

○ هذه دراسة تبدأ من منطلق أن الأصل هو الاباحة، أو كما بدأ يوماً أحد كبار المفكرين المعاصرين إحدى محاضراته في (كولج دوفراني) قائلاً: إن كل الرجال لهم أن يحبوا ويشتهوا كل النساء وإن كل امرأة لها أن تحب وتشتهي كل الرجال؟ . . . . . وإذا كان من تعديل يبدو أنه يمكن إدخاله على هذه العبارة فهو أن نقول: إن كل رجل من المزين له أن يحب ويشتهي كل النساء، وإن كل امرأة وطالما لم تصبح زوجة؟ ـ أو قرينة ـ لشخص فهي تميل أن تجذب أنظار جميع الرجال. . وخاصة من تشعر أنهم يستحقون ذلك؟

. . . . . فكأن الرجل «يرمرم» أما المرأة فانتقائية ـ ومتى وجدت قرينها الذي يسكن إليها سكنت؟.

○ وتتابع هذه الدراسة السير من هذا المنطلق إلى توضيح أن التحريم استثناء، وأن التوسع الاعتباطي في التحريم يضعه القرآن جنباً إلى جنب مع الشرك بالله.

○ ومن هذا المنطلق تكتفي هذه الدراسة بتوضيح ما حرم، وما عداه. . فهو مباح، والشرعة هي التي تحدد ما لا يجوز الخروج عليه، أما الاباحة فهي مسارات أو اختيارات. . . ليس لأحدنا أن يجبر الآخر على مساره، بل ونحن

يعذر بعضنا بعضا في مساره واختياره طالما لم يخرج عن الحدود ودخل إلى المنهاج من الشرعة المحددة.

○ هذا، وقد يبدو أن هذه الدراسة لم تقم اعتباراً لثمار العلاقة بين الرجل والمرأة. . . . وهم الأولاد؟ ولكنني أقول ـ والحق أقول لكم ـ إن الأطفال وأمهم. . . لهم كل الحقوق التي كفلتها الشريعة من الأب أولاً، ومن بيت مال المسلمين وضمن حركة التكافل والضمان الاجتماعية ثانياً.

وقد يقال إن هذا الحديث عن الحقوق المالية؟ ـــ. . . . ولكنني أصحح وأوضح أنني أقصد الحقوق في توفير الجو الثقافي والتربوي أيضاً؟. . . . ولكنها ثقافة وتربية تعتمد استقلال الشخصية واستقلال العقل لدى الناشئة. . . . . وتعتمد أن الأم وحب الأم (بما يعنيه من رعاية واهتمام مسئولين، ولكنهما لا يخلان بالاحترام والفهم اللازمين لنمو شخصية الطفل واستقلال عقله) هو ما يلزم ثقافياً، وتربوياً، أما الوالد فكثير الاهتمامات ويكفي أن تكون له القوامة العامة؟. . . وعليه كل أعباء الاجتهاد والجهد والجهاد، فهو عالم عامل مناضل. . . لا تلهيه الظروف الخاصة عن بحث علمي، أو جهد إنتاجي، أو سياحة في الأرض. . دعوة وتبشيراً ونضالاً وكفاحاً. . . .

فكاتب هذه السطور يزعم أن من ضمن أسباب عجز علمائنا، وعدم انتاجية عاملينا، ووهن روح النضال والكفاح ← إنما يعود فيما يعود إلى «تدجين» النساء للزوج. . والزامه القعود إلى جانب النساء والأطفال. . . . . وكأنه من المستضعفين؟. . . . . ألا ترى أن تعلّة أغلب الذين ظلموا أنفسهم بسكوتهم عن القهر والاستغلال وكافة أنواع المظالم إنما حجتهم «الزوجة والأولاد»؟

فليعد الرجل إلى قوامه. . . وإلى الاجتهاد والجهد والجهاد والسياحة في الأرض، ولتكن له حيويته الفياضة التي لا تعرف العقم والجمود، ولتملأ النساء دنيانا الخاصة بالدفء. . . . ولينحين عنها كل ظل من ظلال الركود والفتور والجفاف، وليكن في حياة العلماء والعاملين والمناضلين. . . .

يتحن لهم ما يرضي النفس، ويغذي القلب، ويمنع الوجدان، ويجدد النشاط. . . فيكن أحسن عون على حمل العبء الباهظ ـ سواءً في البحث أو العمل أو الجهاد ـ واحتمال ما يلقى الرجال في سبيل الاجتهاد والجهد والجهاد من فادح المتاعب والأهوال. . . . .

وكان الله في العون. . . . . .

# بسم الله الرحمن الرحيم
# مقدمة . . وتمهيد . . ومصادر . . ومراجع؟

**أو كلمة قصيرة عن:**

- **اختيار الموضوع** . . مع إشارة موجزة لصلته بمجتمعنا وعالمنا المعاصر
- **وأسلوب معالجته** . . مع إشارة إلى المصادر والمراجع

إن موضوع بيان الحلال والحرام في أي أمر من الأمور هو أهم ما يهتم له المؤمن بالله المسلم أمره لله وخاصة إذا كان تبياناً للحلال والحرام في أمر من الأمور الهامة كالنفس والعرض . . . . . الخ .

وإذا كان الأمر هكذا فإن موضوع تبيان «الحلال والحرام» فيما بين الرجال والنساء من علاقات وأحكام وفقاً لشريعة الاسلام ومنهاجه؟ كان، وسيكون، دوماً محل اهتمام المؤمنين المسلمين وجوههم له تعالى. وزاد الأمر اهمية عندنا ما لاحظناه في الآونة الأخيرة من التباسات وشبهات عن «الحلال والحرام» في هذا الموضوع، فقد سمعنا وشهدنا من يسأل: أين هي النصوص التي تبيح التعدد؟ . . . كما سمعنا وشهدنا من يتحدث وكأن آية ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى . . . .﴾ الخ هي النص في التعدد، فسمعنا وشهدنا من يحاول أن يستنبط منها أحكاماً وأحكاما؟

ومن هنا، وإزالة لأي التباس، ودفعاً لأي شبهة، رأينا أن نعود بالأمور

إلى أصولها الأولى، فحددنا القواعد في الإباحة والتحريم، وخطورة الجرأة على الله بتحريم ما أحل، وما تجرأ أناس على تحريم ما أحل الله . . . . إلا استباحوا ما حرم؟

وتأكيداً لهذا أردنا أن نؤكد أيضاً ما هو معروف من أن الصانع ــ ولله المثل الأعلى ــ هو أعلم بصنعته، فالله أعلم بمن خلق، ودينه هو الدين القيم، وشرعته التي تحل الطيبات وتحرم الخبائث وتأخذ الانسان باليسر ــ «وتلك أنسب الشرائع لاحترام الانسان».

ثم ـ وفي البند رقم (٣) ـ أوضحنا الفارق بين الأحكام القائمة على «نص» وهي التي عليها مدار الحياة، وغيرها من الأحكام التي تسمح بحركة ولكنها ليست حركة بغير ضابط. . . . .

وبهذا كنا قد مهدنا الطريق أمام دراسة موضوعية محايدة تسأل عن شرعة القرآن في العلاقة بين الرجال والنساء، وكنا نؤمل أن يكون هناك من متسع لنسأل: ما هو منهاجه؟ (بند ٤، ص ٢٧ من البحث).

ونعتقد أنه بالتمهيد الذي لخصناه في الفقرات الأربع السابقة على هذه الفقرة قد جاء قولنا ـ في أوّل بند (٥) ص (٢٩) من البحث ـ «على هدي ما تقدم، ودون فرض لرأي مسبق على كتاب الله، ليس لنا أن نقول إن القاعدة في الزواج هي كذا كذا. . . . . ولا يصح السؤال: أين هي النصوص التي تبيح كذا وكذا. . . . .» ← قد جاء قولنا هذا في موضعه، وكذلك الشأن مع ما رأيناه من تقويم للسؤال حتى يكون السؤال: هل من نصوص حرمت علينا اموراً من الأمور الخاصة بعلاقة الرجل بالنساء؟ وما هي النصوص؟ وما هي التحريمات؟

وهكذا سرنا في البحث نبحث عن المحرمات. . . . . وما هو النص الذي حرم. . . . وإلى أي مدى كانت وتكون هذه التحريمات. هذا، وقد تشعب البحث بين الحين والآخر، وكانت هناك استطرادات تتابع الالتباسات حتى تزيلها، وتطارد الشبهات حتى تدفعها، وتتوقف أمام معجزة القرآن حتى تستبينها وتبينها بفضل الله ومنة منه علينا. . . . .

***

وهنا مناسبة أن نلاحظ أننا في أسلوب المعالجة لم نمل كثيراً أن نقيم عملنا على الإشارة إلى المصادر والمراجع العديدة التي رجعنا إليها، إذ إن المعلومات التي عدنا بها من المصادر والمراجع قد تفاعلت بداخلنا حتى إنها صارت جزءاً، من وجودنا وفكرنا، فحتى حين سمحنا لأصحابها أن يتحدثوا إلى القارىء مباشرة كنا نشعر أننا المتحدثون، بينما أخذنا على عاتقنا أحايين أخرى التحدث عنهم؟ . . . . إلا أنه ــ وكما قيل بحق ــ وكما تزمزم النحلة أخبار الأزاهير في كل الفصول، وهي تصنع ما تصنع. كذلك يتغنى وجدان الباحث بآيات الشكر الوفي لكل من مثلوا أدوار الأزاهير وهي تجود بما في ضمائرها من رحيق يتعسل فيشفي، ، ، .

على كل فإنني أريد أن أقول ــ والحق أقول لكم ــ إنني أريد أن تقيموا تقوموا هذا البحث لا من حيث مدى امتلائه بالمعلومات والحواشي؟ . . . . وإنما من حيث مدى تمسكه بمنهج سليم في فهم لموضوع اسلامي على جانب عظيم من الأهمية لحياة المسلمين وغيرهم . . . وخاصة في هذا العصر؟ .

إنني أرجو أن تقوّموا هذه الدراسة بما كونت من آراء في خطة متماسكة . . . . . .

على أنني لا بد أن ألاحظ انه لم يفتني عند إعداد هذا البحث كتاب ذو بال من كتب التفسير والعلوم القرآنية المعروفة، وخاصة التي عنيت بآيات الأحكام عناية خاصة . . كالجامع لأحكام القرآن للقرطبي، وأحكام القرآن لأبي بكر بن العربي، وأحكام القرآن لأبي بكر أحمد بن علي الجصاصي وغيرهم كثير. بل، ومن قبيل تقرير الحق أن أقول ــ والحق أقول لكم ــ إنني حاولت ألا يفوتني تتبع لفظ من الألفاظ التي وردت في كتابي حول هذا الموضوع دون أن أتتبعه في معاجم الألفاظ من لسان العرب إلى القاموس المحيط إلى تاج العروس . . . وغيرها، وكذلك تابعته في معاجم المعاني وفي مفردات الراغب . . . . وكل هذا للاحاطة بالمعاني لغة، أما شريعة فقد عدنا إلى كتب الأصول وكتب الفقه لنقف عند المعاني المؤثرة في الأحكام ووجوه

دلالات الألفاظ على المعاني والأحكام. . . . .

وخلاصة الأمر أننا اجتهدنا ما وسعنا الجهد أن نعرف ما ورد في موضوعنا من آيات وأحاديث وما وقع فيه من اجماع واختلافات وادعاء بنسخ إلى غير هذا مما يتوقف عليه الاجتهاد في هذا الموضوع.

وأخيراً هذا هو اجتهادنا وجهدنا بين أيديكم ونرجو أن ينال القبول والرضا، والله المستعان ورضاه هو الرضا. . . . . .

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**عن الحلال والحرام فيما بين الرجال والنساء**

**من علاقات وأحكام. .**

**وفقا لشرعة الاسلام ومنهاجه؟!**

* * *

- الأصل الاباحة. . ولا تحريم إلا بنص.
- الله هو خالق الانسان. . والله هو الذي بعث رسله بالدين ← فلا تعارض بين الفطرة والدين؟!.
- الشرع يقوم على النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة. . وهو صالح لكل زمان ومكان ← واستنباطات الفقهاء انعكاسات لزمن معين ومكان معين وعلاقات معينة؟!
- ما هي شرعة القرآن في العلاقة بين الرجال ـ محاور التطور ـ والنساء؟!

|| وما دام الأصل الاباحة ← فما الذي حرمه ربي؟!

كيف نباشر ما أحل لنا؟

- وبأي عدد؟!

○ وقفة عند «وإن خفتم الا تقسطوا في اليتامى. . فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ـ فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة. . .»؟!

○ مزيد من التأملات؟!

○ مناقشة لتنظيم العلاقة؟!

. . . هل هي شيوعية النساء؟!

. . أم تعدد أزواج؟!

. . أم نظام الزوجة الواحدة، مع منع أو تقييد الطلاق ـ ولا مانع من الصديقات؟!

. . أم نظام إمكانية الدخول فيه سهلة وبحرية، وكذلك إمكانية استمراره. . . وإنهائه ← مع إباحة التعدد وحق الأولى في الطلاق. . وإباحة العلاقات المؤقتة؟!

فأي اختيار؟!

○ حديث عن المتعة؟!

○ ويسألون؟!

. . . ما الفرق بين ما تقولون والسفاح والزنا؟

. . . ما الفرق بين ما تقولون وما هو عند الاباحيين ـ بل الشيوعيين؟!

. . . وما المقصد؟! . . وأين مكارم الأخلاق والقيم؟!

○ خاتمة. . والمنهاج المفتوح الذي تشرع أبوابه هذه الشرعة؟!

[١]

◎ الأصل في الأشياء الاباحة . .

← وتكملتها «. . . . . ، ولا تحريم إلا بنص» .

← ومؤيداتها :

«التحريم الديني لا يكون إلا بنص قرآني ـــ والقرآن قد فصل لنا ما حرم علينا . . ولا مزيد من التحريم . .

«التحريم الديني لا يعتبر من التشريعات العامة إلا إذا كان النص الوارد في شأنه قطعياً وارداً مورد التكليف/ أي أن يكون قطعي الثبوت وقطعي الدلالة ـــ ـــ ـــ

◎ فالاباحة قاعدة . . والتحريم استثناء . . . . .

والاستثناء لا يتوسع فيه ولا يقاس عليه . . . . .

◎ وإنَّ القرآن ليضع التوسع في التحريم بشكل اعتباطي جنباً إلى جنب مع الشرك بالله ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء﴾ الأنعام ١٤٨ ﴿لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء، نحن ولا آباؤنا، ولا حرمنا من دونه من شيء﴾. النحل ٣٥.

وفي حديث قدسي «خلقت عبادي حنفاء مسلمين . . فاجتالتهم الشياطين، وحرمت عليهم ما أحللت لهم . . وامرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا . . .»

## [٢]

ولا بد هنا، ونحن نرى أن الأصل الاباحة.. والتحريم هو الاستثناء، أن نذكر أن الانسان ركب تركيباً معيناً ـ هو أساس الضرورات والحاجات والتحسينات.. وأن نذكر أنه لا يتوقع من دين من عند خالق هذا الانسان الذي يعلم تكوينه أن يكون مناقضاً لهذه الفطرة التي فطر الله الناس عليها....

ولا يمكن أن يقال إن الدين ـ وهو من عند الله ـ ينصب الحواجز ويضع الأسلاك الشائكة؟!

إن هذا التناقض إنما يجيء ـ حينما يجيء ـ على أيدي طبقات الكهنوت التي يقوم دورها التاريخي على التزييف ووضع الحواجز والعراقيل.. من أجل أن تضطر الناس اضطراراً للجوء إليها وطلب معونتها.. استغلالاً واستنزافاً واكلاً بآيات الله ثمناً قليلاً.

ـ وكما سبق أن أوضحنا.. فإن القرآن يعتبر هذا التوسيع الاعتباطي للتحريم شركاً.

وقد قال الامام الرازي في تفسيره «مفاتيح الغيب» بصدد حديثه عن آية «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله.... الآية» «الأكثرون من المفسيرن قالوا:

ليس المراد من الأرباب أنهم اعتقدوا أنهم آلهة العالم . . بل المراد أنهم اطاعوهم في أوامرهم ونواهيهم .

نقل أن عدي بن حاتم كان نصرانياً فانتهى إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأ سورة براءة ـ فوصل إلى هذه الآية .

قال : فقلت : لسنا نعبدهم .

فقال : أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟! ويحلون ما حرم الله فتستحلونه!!

قلت : بلى

قال : فتلك عبادتهم» .

← وإذا كان القرآن الكريم قد أنكر حق التشريع ـ حتى الديني منه ـ لأي رجل ممن يسمون «رجال الدين»؟!
فإنه لم يسلمه لطاغية أو طبقة . . . الخ .

وهذا اخراج الناس من عبادة العباد . . وتهيئتهم لما يصلحون له . .
← إلى تحريرهم بالعبودية لله وحده ، فالبشر كلهم على اختلاف شعوبهم وألوانهم وطبقاتهم عباد الله ، فليس أحد من البشر إلهاً سواء أكان فرداً أو جماعة وكل تمييز أو تقديس أو استعلاء لفرد أو طبقة أو أسرة أو هيئة أو سلطة يناقض هذا الأساس ويعتبر ضرباً من الشرك والتأليه لغير الله .

والبشر على هذا متساوون ، وهم في مجموعهم تنتظمهم وحدة شاملة مبنية على العبودية لله وحده ـ ووحدة الأصل والتاريخ (وما تنوعهم إلا انبثاق عن أصل واحد ، وماهو إلا تنوع إلى وحدة؟!) والمصير .

وكل فرد من البشر له كرامته المتمثلة ـ في استقلاله بالاختيار والتقرير ، وهو مسؤول ولا يعفى من المسؤولية . . وهي مسؤولية تمتد ولا تحتاج إلى نتائج تلغي الحياة الدنيا أمام الله في حياة آخرة .

وبهذا التحرير من العبودية لغير الله ، والمساواة . . فالناس كلهم اجمعون ـ

بغير استثناء ـ أشباه وأنداد فكلهم عباد الله وكلهم مخلوق من نفس واحدة وهم إلى مصير واحد ولسوف يسألون؟!

بهذا يتهيأ الانسان لانتظام كوني شامل، فرب الناس هو رب العالمين، وخالقهم هو خالق السموات والأرض.. وواضع السنن التي تحكم الكون والطبيعة هو واضع الشريعة التي تنظم حياة الناس ـ وقد تلقاها الناس عن طريق الانبياء والرسل وآخرهم محمدﷺ الذي كان شهيداً علينا ولنكون شهداء على الناس؟!

← وبهذا ينتظم التحرير الشامل بالايمان بالله.. والعبودية له وحده والتحرير عما سواه والقيام بالخلافة وأمانة المسؤولية عن الوجهة والمصير ـ باختيار حر مسؤول ـ مع هدي إلهي موجه إلى الناس كافة.. فلا احتكار لفرد أو طبقة (ولو كانت طبقة من يسمون رجال دين؟!).. فهي مشاع لكل مؤمن..

وهذه من أهم المفاهيم التي لم يُلْتفت إليها.. وإلا لكان الاسلام فاصلاً بين عهدين:

عهد ينهي سلطان رجال الدين.. ويجعل الدين للجميع وفي خدمة الجميع ← كما هو الشأن في السلطة والمال..

فلم يعد جبروت لفرد، أو احتكار لفرد، أو لطبقة.. في كافة الشئون ← إنه فعلاً عهد الانسان؟!

وفي عهد الانسان.. تكون علاقة الانسان بحاجته «المادية ـ الجسدية» علاقة صميمة معترفاً بها.. ومعترفاً باشباعاتها القائمة على التنويع.. فلا كبت ← بل إن القرآن ليجعل الكبت أو الحد من الاشباع «عقاباً» وليس «تشريعاً» ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾ النساء ١٦٠.

← والقرآن يحذر المؤمنين من هذا السلوك المنحرف.. وكبت الغرائز.. وتزوير الموقف الانساني ـ والشرك بالله هو أكبر التزوير.